

المحور الرابع: شركاء التعاون الدولي في مجال الطاقة

شهد القرن العشرون انتشار التصنيع بشكل كبير، وأصبح الاعتماد المتبادل سمة العلاقات الدولية المعاصرة، وزادت ثروة الاتصالات من تداخل العلاقات الاقتصادية والسياسية والثقافية بين الدول.

إن امتداد التبادل بكافة أنواعه قد أثر على طبيعة المصالح الوطنية للدولة، فلم تعد هذه المصالح تحدد بصفة أحادية، بل أصبحت تتكامل وتتنافس، وبالتالي فإن ممثلي هذه المصالح عليهم التفاوض ليس فقط للمصالح العام ولكن أيضا للدفاع ونشر المصالح التي يمثلونها. وفي هذا الصدد امتد التعاون ليشمل أطرافا أخرى غير الدولة مثل الشركات المتعددة الجنسيات والمنظمات الدولية والاقليمية في مجال النفط.

الشركات المتعددة الجنسيات في مجال النفط

تعتبر الشركات العملاقة أكبر الشركات البترولية في العالم، حيث كانت رائدة في اكتشاف وصناعة النفط وتسويقه، وتتمثل هذه الشركات في:

شركة إيكسون، شوفرون، موبيل، تكساسو، غولف، هذه الشركات الخمس هي شركات أمريكية، بالإضافة إلى شركة شيل الهولندية وشركة بريتيش بتروليوم البريطانية.

سيطرت هذه الشركات منذ تأسيسها على السوق النفطية فيما يتعلق بالانتاج في مجمل أنحاء العالم، وأيضا الاستغلال والاستثمار والتوزيع والاحتياطي وتكرير النفط والصناعات البتروكيمياوية والتسويق، وبسبب تضامنها مع بعضها البعض سميت "الشقيقات السبع".

كانت هذه الشركات تسيطر على حوالي 80% من الانتاج النفطي العالمي (خارج الولايات المتحدة والمنظومة الاشتراكية)، هذه الشركات كانت تملك وتسيطر على 70% من صناعة التكرير العالمية، كما أن أكثر من 50 % من ناقلات النفط تمتلكها هذه الشركات. وهذه الشركات المملوكة لبلدان محددة كما رأينا هي دولية فقط من حيث تشعب عملياتها على المستوى الدولي ومن حيث توظيفها لمواطنين من أقطار عديدة ولديها على المستوى المحلي شركات تسمى بأسماء الأقطار المتواجدة بها لكنها تقوم بالأعمال المناطة بها لصالح الشركة الأم .

وفيما يلي عرض لهذه الشركات:

شركة إكسون

كانت هذه الشركة في البداية مملوكة لـ "روك فيلار"، وكانت تعرف بـ « Standard oil of New jersey » وذلك منذ 1891 ، ثم أصبحت تعرف بإيكسون سنة 1972، واستمرت في نموها بعد شرائها لعدة شركات¹. وصارت تحقق مجمل نشاطاتها خارج الولايات المتحدة الأمريكية. وتمتلك عائلة "روك فيلر" 2% من أسهم الشركة.

وفي السنوات الأخيرة من القرن الماضي استثمرت أموالها في استغلال الفحم والغاز والبيترو كيمياويات وجميع مصادر الطاقة وأصبح لها فروع في الخليج وآسيا وأمريكا اللاتينية.

شركة موبيل

تمتد جذور هذه الشركة إلى شركة " سوكوني فاكوم أوليل " والتي انضمت إلى شركة "ستاندارد أوليل أوف نيوجرزي"، وكانت تعتبر الأخت الصغرى لإيكسون، وقبل الحرب العالمية الأولى كانت إكسون وموبايل تشتغلان بشراكة وطيدة، ومنذ 1930 ولمدة ثلاثين سنة كانت تبيع النفط في أكثر من خمسين دولة وراء البحار. وفي 1955 استقلت من

¹ منذ 1989 اشتركت إكسون مع الشركة الكندية « Imperial oil LTD » حيث صارت تمتلك 69.6% من أسهمها.

تبعيتها واتخذت اسم " سوكوني موبيل " ، وأصبحت من الشركات الأكثر نشاطا وتطورا. وفي 1963 اشترت 10% من الأسهم في شركة أرامكو (السعودية - الأمريكية) وطورت أنشطتها لتشمل الطاقة الشمسية بعد تسويق ونقل الفحم والفوسفات والبتروكيماويات.

شركة تيكساسو

تأسست سنة 1902 وأخذت في 1926 تسمية "تكساس كومباني"، اكتشفت النفط لأول مرة سنة 1903 وفي 1936 اشترت شركة "غولف للجنوب الأمريكي"، كما حصلت على 50% من أسهم أرامكو الأمريكية السعودية ودخلت بذلك للسوق الدولية.

لها مصالح ضخمة في جزر بحر الكاريبي وفي أمريكا الجنوبية وتملك أيضا أسهما في الشركات النفطية العاملة في الوطن العربي.

سنة 1956 اشترت شركة " ترينيداد أوليل كامباني " وابتلعت شركة superior oil co of « venezuela » والتي تم تأميمها سنة 1975 من قبل الحكومة الفنزويلية، كما امتلكت 50% من أسهم شركة أسست بالشراكة مع مؤسسة أندونيسية، وفي سنة 1989 تم بيع الشركة الفرعية " تكساسو - كندا " إلى إكسون.

شركة شوفرون

تعتبر من أعظم الشقيقات السبع إن لم نقل أضخمها حجما ونشاطا وأكثرها اندماجا في الكارتل العالمي، وتحتل المرتبة السادسة عالميا من حيث إنتاج النفط والغاز الطبيعي، ما يعني أنها تهتم بجميع مراحل النفط من تنقيب واستغلال وتكرير وتوزيع ونقل.

مقرها في سان فرانسيسكو غرب الولايات المتحدة الأمريكية، وتنتشر في مائة دولة في العالم، تأسست سنة 1879، حيث ساهم مجموعة من رجال الأعمال بمليون دولار لكل شخص لتأسيس شركة " باسيفيك كومباني " وكان هدفها الرئيسي إنتاج وتكرير البترول الخام في

كاليفورنيا. في 1966 انتقلت ملكية "شوفرون" إلى "روكفيلر ستاندرد أويل كومباني" وكانت هذه الشركات الضخمة التابعة لرجل الأعمال والملياردير "روك فيلر" بدأت تقلق الحكومة الأمريكية التي قررت بموجب حكم أصدرته المحكمة العليا في 1911 تقسيم شركة "ستاندارد أويل كومباني" إلى 34 شركة مستقلة وأصبحت تسمى "ستاندارد أويل كومباني". وفي عام 1984 غيرت اسمها لتصبح "شوفرون" وتضم معها شركة "غولف". تشمل عمليات شفرور تصنيع وبيع منتجات مثل الوقود ومواد التشحيم والمواد المضافة والبتروكيماويات. أهم مناطق عمليات الشركة هي الساحل الغربي لأمريكا الشمالية، وساحل الخليج الأمريكي، وجنوب شرق آسيا، كوريا الجنوبية وأستراليا، حيث تنشط في 180 دولة وتمتلك احتياطات تقدر بـ 11.9 بليون برميل نפט غاز مكافئ، وتمتلك قدرة تكرير تقدر بـ 2.6 مليون برميل يوميا، ولديها 24 ألف نقطة بيع عبر العالم، وفي عام 2018 أنتجت الشركة 791.000 برميل نפט مكافئ/يومياً في الولايات المتحدة.

شركة غولف

مقرها ببيتربورغ وهي ملكية عائلية، وترتبط بثروة عائلة "ملون" منذ أن قررت هذه العائلة تمويل الشركة البترولية في طليعة القرن العشرين، وازدادت ثروة العائلة باكتشاف أول بئر بترول في الكويت سنة 1937، حيث سيطرت على نصف الحقول البترولية في ظرف بضع سنوات، وتعددت استثماراتها عبر العالم في الشرق الأوسط وإفريقيا (أنغولا) واهتمت بصناعة الفحم والطاقة النووية لكنها لم تحصل أبداً على ينبوع نפט متدفق مثلما حصلت عليه في الكويت.

شركة بريتيش بتروليوم (BP)

شركة عالمية لصناعة وتسويق النفط والغاز تأسست سنة 1909، مقرها لندن، وكانت تسمى «Anglo- persian oil company»، واتخذت اسمها الحالي سنة 1955، واشتهرت

باستثماراتها في تدفق نفط إيران منذ 1911، فمنذ اكتشاف النفط هناك ولأزيد من ستين سنة فإن نفط إيران والخليج هو من جعل من هذه الشركة إحدى أضخم الشركات النفطية في العالم، مما ساعدها على تحقيق استثماراتها المربحة في بحر الشمال وألاسكا.

شركة شال أو رويال دوتش شال

تأسست سنة 1897 من طرف رجل أعمال كان ينشط في ميدان نقل النفط من الحقول الروسية إلى الأسواق الآسيوية حتى اليابان مروراً بقناة السويس، وكان يدعى "ماركوس صامويل"، أسس شركة تحت اسم « Shell Transport and trading company » وكان يمتلك ثلث الأسهم، مقرها لندن، وبعد الخبرة التي حصل عليها في ميدان الفحم والنفط الروسي والأرباح المحققة في الشرق الأقصى قرر ضم شركته إلى شركة هولندية " رويال دوتش كومباني" لتصبح الشركة العملاقة المعروفة ب " رويال دوتش شال" سنة 1912. وفي 1922 بدأت شركة شال تنشط في الولايات المتحدة الأمريكية وتنافس الشركات الأمريكية حيث تطورت سريعا في ظرف سنوات قليلة. والمفارقة أن معظم الناس في بريطانيا يعتقدون أن شال هي بريطانية محضة، وفي هولندا يعتقد الهولنديون أن شركة رويال ديتش شال ذات أغلبية هولندية، أما في الولايات المتحدة أين تحقق ثلث رقم أعمالها يعتقد الأمريكيون أن الشركة أمريكية بحتة، لكنها في الحقيقة متعددة الانتماءات، فإدارتها يتقاسمها هولنديون وبريطانيون، أما أسهمها فيملكها بريطانيون وأمريكيون وهولنديون. فقد صرح رئيس سابق للشركة سنة 1967 " إن شركتنا هي من العالمية لدرجة أنه لا يمكن أن يحدث شيء في أي منطقة من العالم دون أن تتأثر مصالحنا".

القوة الاقتصادية والاستراتيجية للكارتل النفطي:

تسمى شركات النفط الكبرى بالكارتل وكانت إلى زمن قريب تسيطر سيطرة مطلقة على مجمل مراحل صناعة النفط في العالم من استكشاف وتنقيب وحفر وإنتاج وتكرير وتوزيع وتسويق...

تتمتع هذه الشركات بقدرات وإمكانات هائلة قد تفوق الدول المنتجة للنفط، وتتلقى الدعم الكامل من حكوماتها عند الضرورة، وقد سيطرت بالكامل على نفط الشرق الأوسط حتى بعد الحرب العالمية الثانية ببضع سنوات نتيجة ما كان يعرف بـ " عقود الامتيازات" المجحفة والموقعة من طرف الحكام آنذاك. فقد تمكن الكارتل من تقسيم السيطرة على سوق النفط فيما بينهم، فعندما تندلع الحروب في الشرق الأوسط وغرب إفريقيا يزداد سعر النفط.

ففي عام 1970 كانت هذه الشركات لازالت تراقب 60% من الاحتياطات المؤكدة من النفط و 80% من الصادرات العالمية و 90% من الانتاج النفطي في الشرق الأوسط رغم أن المرحلة تميزت بسياسات التأمين التي طالت عدة دول.

بعد تصاعد الوعي والشعور الوطني في الدول النامية في حقبة الخمسينيات والستينيات لا سيما في إيران إثر تأميم نفطها تحت حكم السياسي الجريء " محمد مصدق" عام 1951 من جهة وكذلك بعد نجاح التجربة الفنزويلية والمكسيكية ودخول شركات نفطية أقل حجما مستقلة منافسة نوعا ما في الميدان، ويطلق عليها في الأدبيات النفطية المتطفلين، (على سبيل المثال شركة النفط الفرنسية، شركة النفط الايطالية) والعروض التي قدمتها هذه الأخيرة إلى دول الخليج من جهة أخرى، كل هذه العوامل جعلت الدول المنتجة للنفط تدخل في صراع حاد مع الشركات الاحتكارية من أجل تعديل شروط الامتيازات لتحسين عائداتها النفطية. من جهة أخرى لم تقتصر مشاكل النفط العالمية على الانتاج والاستهلاك، بل ظهرت ردود فعل قوية ضد شركات النفط العالمية الكبرى من قبل شعوب الدول المنتجة للنفط، إذ رأت أقطار عديدة أن استمرار سيطرة الشركات النفطية على اقتصادياتها هو امتداد للاستعمار القديم وشكل من أشكال الاستعمار الجديد يتناقض مع السيادة الوطنية.

تعتبر الشركات النفطية الكبرى امتدادا للرأسمالية العالمية ورمزا للتقسيم الدولي للعمل بين الدول الصناعية التي تحتاج إلى استهلاك واسع للنفط والبلدان المصدرة للنفط وتلك البلدان التي لا تنتج نفطا ولا تستهلكه إلا للضرورة، فتاريخ النفط هو تاريخ الاستعمار بشكله القديم والحديث، فقد استطاعت الشركات النفطية العملاقة السيطرة على الثروات الوطنية وحتى التدخل في الشؤون الداخلية للدول المنتجة²، وذلك بفضل النفوذ السياسي والعسكري للدول التي تنتمي إليها خاصة أمريكا وبريطانيا.

فقد هيمنت الأخوات السبع طويلا على سوق النفط الدولي، لكنها فقدت جزءا كبيرا من هيمنتها وذلك راجع لمجموعة من الأسباب أهمها:

* التأثير المتزايد لمنظمة أوبك التي تأسست سنة 1960.

* تراجع حجم احتياطات النفط والغاز العالمية التي تحتفظ بها بلدان منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية.

* ظهور شركات نفط قوية مملوكة لحكومات الاقتصاديات الناشئة.

وهكذا ضعفت الأخوات السبع في السبعينيات، حيث انطلقت حركة التأميمات في الدول المنتجة للنفط ودخل العالم مرحلة جديدة عرفت دخول شركات وطنية تتنافس على سوق النفط، وبحلول عام 2017 لم يبق من الشركات العملاقة إلا « BP »، « إكسون موبيل »، « رويال داتش شل » و « شيفرون ».

² على سبيل المثال قامت الحكومة الايرانية سنة 1951 بتأميم النفط تحت رئاسة محمد مصدق، لتتم الاطاحة به سنة 1953 عبر انقلاب بريطاني أمريكي وتستعيد الأخوات السبع إمكانية الوصول إلى النفط الإيراني